

الدرس الخامس

دخول الخطية وانحطاط الجنس البشري

تكوين 2: 4-11: 26

1. مقدمة

يتألف هذا القسم من خمس وحدات توليدوت *tôlê dôlê* (مواليد)، واحدة في تكوين 2: 4-4: 26 وأربع وحدات في 5: 1-11: 26. تبين الوحدة الأولى كيف فقد الإنسان حالة البركة الأصلية التي خلق عليها. أما الوحدات الأربعة المتبقية فتبين كيف استمر الجنس البشري في التدهور إلى نقطة صارت معها شعوب الأرض في حالة تمرد كلية ضد خالقها. وسيعد هذا المسرح لخطة الله في مواجهة تمرد الإنسان بمخلق أمة مقدسة خاصة هي إسرائيل.

تقدم الأصحاحات الثلاثة التي تؤلف توليدوت *tôlê dôlê* (مواليد) 2: 4-4: 6 أساس الحاجة إلى البركة. والنقطة المركزية لهذا القسم هي الأصحاح الثالث حيث يسقط الإنسان في الخطية. كانت حالة البركة الأصلية في خليفة الله الجديدة قصيرة العمر. وتثير كلمة توليدوت *tôlê dôlê* في تكوين 2: 4 حول "السموات والأرض" السؤال: "ما الذي حدث للسموات والأرض التي خلقها الله على نحو بديع؟" والجواب هو: دخلت الخطية إلى العالم، وبالخطية دخلت اللعنة. استوطن الانحطاط والانحلال، وانتشرا بسرعة حتى عمّا الخليقة كلها! فحيث جلب الله النظام والبركة والقداسة، جلب الإنسان نقيض ذلك. وهكذا انتقل التركيز من البركة إلى اللعنة.

إن الأصحاح الثالث الذي فيه تواجه مع دخول الخطية إلى الجنس البشري هو النقطة المركزية لهذا التوليدوت *tôlê dôlê*، وهي الخطية التي جلبت اللعنة وجعلت البركة أمراً ضرورياً. ولكي يعدنا الأصحاح الثاني لتأثير هذا الحدث، فإنه يذكرنا بما أفسده السقوط. وأخيراً يقوم الأصحاح الرابع بإكمال الصورة متبعاً التطورات البعيدة المدى للخطية واللعنة في تطور مجتمع فاجر.

2. خلق آدم وحواء في الجنة (2: 4-25)

هذا هو القسم الرئيسي الأول في التوليدوت *tôlê dôlê* الحالي. ونجد هنا صورة الزوجين الأولين في ملء البركة. غير أنه يقصد بهذا الأصحاح أن يشكل مقابلة مع الأصحاح الثالث، وهو يجبرنا بما فسد عند السقوط. نرى هنا الزوجين يتمتعان بقدرة معطاة من الله على

خدمة الله وعبادته في البر. سبق أن حدد الأصحاح الأول قصد الله للإنسان على أنه الإداري الثيوقراطي عند الله (العامل الوسيط لحكمه)، أما الأصحاح الثاني فيصوّر وظيفة الإنسان هذه. ولا يمكننا أن نفهم ما يتضمنه السقوط في الأصحاح الثالث إذا لم نفهم ما هو معرّض للضياع في الأصحاح الثاني.

"ينبر القسم كله على خطة الله للوحدة بين الذكر والأنثى بصفتهما صورة الله لكي يخدماه ويحفظا وصاياه لكي تكون لهما حياة. ويعني العصيان جلب الموت والدمار."¹

أ. خلق الحياة² (2: 4-7)

تراجع الرواية للحظة، وتنظر إلى خلق الإنسان من زاوية مختلفة. إذ كان الأصحاح الأول قد وضع خلق الإنسان في سياق الكون، وبين بوضوح قصد الله للإنسان، أما الأصحاح الثاني فينظر بالمقابلة إلى انشغال يهوه الحميم في خلق الإنسان واهتمامه البالغ بتشكيل الإنسان. لنلاحظ التعابير الهامة:

1. تؤكد ياتسار (*yāšar*) על عمل فنان يصنع شيئاً باستخدام تصميم. غير أن الإنسان (אָדָם) يذكر بطبيعته "الأرضية" حيث شكّل من التراب (אֶרֶץ)، فيجب ألا تكون لديه أية آمال في الاستيلاء على مكان الله.
2. يهوه إيلوهيم - אֱלֹהֵי יְהוָה. يوضح هذا التعبير أن إله العهد يهوه هو أيضاً الإله الخالق.
3. نشمت خاييم - "نسمة الحياة *nishmat hayyim*" - ليس هذا التعبير مقصوراً بالضرورة على البشر (انظر Wenham, Genesis, 1: 60-61). إذ يرد تعبير مشابه (لكن مع استخدام الكلمة المرادفة אָדָם مكان אֱלֹהֵי יְהוָה) في تكوين 6: 17 و 7: 15 حول كل حياة، سواء كانت حيوانية أم بشرية. ونجد شكلاً معدلاً قليلاً (مع المحافظة على كلمة אֱלֹהֵי יְהוָה) في تكوين 7: 22، مرتبطاً على ما يبدو بكل من العالم الحيواني والعالم البشري. وعلى الرغم من أن روس يزعم أن هذه الكلمة الدالة على نسمة لا تُستخدم أبداً عن الحيوانات (Creation & Blessing, 122)، إلا أن ونهام أكثر دقة على الأرجح في التأكيد أن للحيوانات أيضاً "نسمة حياة". ومن دراستنا لآيات مثل أوب 27: 3؛ 33: 4 و 1 ملوك 17: 17، نرى أنّ الفكرة الأساسية من هذه الكلمة هي كون المرء أو الحيوان "حياً" (لأن له "حياة أبدية"). فإزالة "نسمة الحياة" إذا هي بمثابة أخذ الحياة المادية من الكائن الحي (سواء كان إنساناً أم حيواناً). غير أن "نسمة الحياة" في الإنسان توحى في بعض الحالات

¹ Allen Ross, "The Exegetical Exposition of the Pentateuch" (unpublished class notes in 117 Exegesis of the Pentateuch, Dallas Seminary, Fall 1979), 6.

² لمزيد من الدراسة، انظر J. P. Moreland and Scott B. Rae, *Body & Soul; Human Nature & the Crisis in Ethics* (Downers Grove, IL: Intervarsity Press, 2000).

بأكثر من مجرد الحياة المادية (انظر أيوب 32: 8- "ونسمة إنسان تعقلهم") وقد ترتبط أيضاً بضمير الإنسان (انظر أمثال 20: 27). ويصعب التأكد إن كان كل هذا متضمناً في حالة تكوين 2: 7. ويزعم ليوبولد (1: 116) أن الهام ليس النسمة نفسها، ولكن أسلوب منحها (أي مباشرة وبشكل شخصي من الله)، وهو ما يعطي الإنسان كرامته. ويجب أن نضع في اعتبارنا أيضاً يوحنا 20: 22 (التي تتوقع يوم الخمسين) الذي يعلن فيه قبول الروح القدس بلغة تذكر بتكوين 2: 7، حيث نفخ يسوع على التلاميذ.

إن الفكرة الأساسية في تكوين 2: 7 هي أن الله عمل مباشرة لكي يحيي الإنسان (على الرغم من أن الإنسان كان يمتلك صفات تتجاوز صفات المملكة الحيوانية، بما في ذلك الحياة الروحية). ويمكننا أن نفترض أن إعطاء "نسمة الحياة" في حالة الإنسان لم تسفر عن صيرورة الإنسان حياً فحسب، بل أيضاً عن امتلاكه للحياة الروحية.

4. "نفساً حية إنساناً" أو "كائناً حياً" حسب ترجمة NASB - كلمة "نفس" נֶפֶשׁ هنا كناية عن كل "الشخص" أو "الذات". لقد نتج عن نفخ الله في الإنسان أن أصبح الإنسان كائناً حياً (وهو تعبير يستخدم في تكوين 1: 24 و2: 19 عن المملكة الحيوانية).

يستنتج ونهام (Genesis 1-15, 61):

ليس امتلاك الإنسان "نسمة الحياة" أو حالته بصفته "مخلوقاً حياً" هو ما يفرقه عن الحيوانات... فالحيوانات توصف بالتعابير نفسها. لكن تكوين 1: 26-28 تؤكد فريدة الإنسان لأن الإنسان وحده هو الذي خُلق على صورة الله، ولأنه أُعطي سلطة على الحيوانات.

ولقد كان للإنسان المخلوق بهذا الأسلوب المتسم بالحرص والعناية القدرة على خدمة الله.

ب. الخلفية المعدة لطاعة الإنسان لوصايا الله (2: 8-17)

يركز هذا القسم على الجنة التي هي الحديقة لامتحن الطاعة. والتركيز هو على الأشجار في الجنة:

شجرة الحياة: وسيلة للحفاظ على الحياة وتعزيزها في حالتها السعيدة.

شجرة معرفة الخير والشر - طباق للأشياء التي تحمي وتدمر الحياة. وينتج عن هذا عقول جعلتها معرفة الشر تظلم.

إنَّ تجاوز الحدود يؤدي إلى كارثة... الموت. وسيكون هذا الموت روحياً وجسدياً.

يجب أن ننتبه إلى أن الإنسان خُلق ليكون عبداً لا مجرد بستاني. وقد اتسمت مهمته بالخدمة الروحية العالية والطاعة. لنلاحظ التعابير

التالية:

777 (يحفظ، يحرس) _ تستخدم هذه الكلمة للتعبير عن حفظ الوصايا ومراعاة كلمة الله وطاعتها .
 778 (يخدم، يعبد) - تُستخدم هذه الكلمة لتصف الإنسان بصفته خادماً ليهوه، وهي أسمى خدمة روحية يمكن أن يتمتع بها الإنسان .
 779 (يوصي، يأمر) - الكلمة الرئيسية للأمر/الوصية في العهد القديم (إن الوضع الملائم للإنسان هو أن يتعلم من الرب وأن يطيع تعاليمه).

الاستنتاج: لقد تمت تهيئة الجنس البشري بقدرة روحية، ومن ثم وضع في وضعٍ لاختبار طاعته كمتعبد حقيقي لله، لتكون نتيجة لامتحان إما الحياة أو الموت.

ج. أكمل خلق الصورة (2: 18-25)

يقول لنا النص إنه لم يكن أمراً جيداً أن يكون آدم وحده، وهو الشيء الوحيد الذي يسميه الله "ليس جيداً".
 تسمية الحيوانات: كان إطلاق التسميات إشارة إلى امتلاك "السلطة" على ما يسميه المرء . فعلى سبيل المثال، قام رأوبين بتغيير أسماء مدن العموريين بعد غزوه لها . وهنا يمارس آدم وظيفة ممثل الله .
 العُري - يوحى هذا بأنهما كانا مطمئنين في علاقتهما أحدهما مع الآخر دون أي خوف من استغلال أو إدراك لإمكان حدوث شر . ويمكن أن يقال إنهما ساذجان وساهيان عن الشر، غير عارفين أين تكمن الفخاخ.

3. دخول الخطية إلى الجنس البشري (3: 1-24)

هذا هو الأصحاح الرئيسي في هذه الثلاثية . فكل ما كان للإنسان في الجنة ضاع في السقوط . والآن توجد لعنة، الأمر الذي يحتم استعادة "البركة" .

أ. رواية التجربة بالخطية (3: 1-7)

1. ميزة الجرب

يوجد تلاعب غير مباشر بالكلمات ما بين 2: 25 و 3: 1

- كان الزوجان عاريين (لا 776)

- كانت الحية مأكرة (لا 776)

إن الفكرة هنا ذات دلالة: فقد كانا في عربهما ساهيين عن الشر، غير عارفين بمواقع الأشرار. ومن ناحية أخرى، استخدم إبليس مكره لاستغلالهما.

2. عملية التجربة (الإغواء بارتكاب الخطية)

أ. تأتي التجربة ممتعة (على شكل حياة)

ب. التجربة مأكرة (غير مباشرة) وليست إغراءً صخباً بالخطية.

ج. يهاجم إبليس نقطة الضعف بالتوجه إلى المرأة (كانت الوصية قد أعطيت للرجل).

د. يبدأ إبليس باستكشاف ما تعرفه المرأة عن كلمة الله (الآية 1)

هـ. يكشف إبليس غياب الفهم لديها:

(1) تضيف إلى التحريم الذي فرضه الله ("لا تمسّاه")

(2) تضعف من الجزاء

قال الله: "موتاً تموت" (مع وجود مصدر مطلق للتأكيد)

أما حواء فقالت "نمت" فقط (في ترجمة البستاني "لثلاثموتا")

(3) لا تفهم حواء المدى الكامل للغنى أو التدبير الذي وفره الله.

قال الله: "تأكل أكلاً" (أي كل ما تريد-دون قيود - مصدر مطلق للتأكيد على الحرية)

قالت حواء: "تأكل" فقط

و. يتحدى إبليس كلمة الله علناً:

أ. يكذب حول الجزاء ("لن تموتا")

الفكرة هنا، يمكنك أن تخطئي وتقلتي من العقاب.

ب. يوحي بأن لدى الله دافعاً سيئاً - يريد أن يجرهما من شيء ما.

ج. يحاول إغراءها بدوافع أعلى - "كالله"

ز. يُبعد ذهن المرأة عن الجزاء ويطلب منها أن تعتمد على منطقها الشخصي (أن تتبع انطباعاتها بدلاً من تعليمات الله) لكي

تضع في اعتبارها ما تعتقد أنه نافع لها. فجعلت من "تحقيق الذات" هدفاً لها.

3. النتيجة

لا يتحقق وعد التنوير الإلهي. يبصران، ولكن ليس كما توقعنا. ويصيران غير مطمئنين ومرتاحين في علاقتهما أحدهما مع الآخر (عدم ثقة واعتراب وانفصال)، وهما غير مطمئنين في علاقتهما مع الله (يختبئان منه خائفين).

4. الرسالة

إن معرفة قوية بكلمة الله أمر لا غنى عنه للانتصار الروحي! [انظر عبرانيين 5: 14-14- يجب أن نمارس الحق لكي ننصح].

ب. إعلانات اللعنة الإلهية (3: 8-24)

تبين بقية الأصحاح تأثير الخطية: التأديب والتدبير الإلهيين في حضور الشر.
الدرس: يجلب التمرد الموت والألم والصراع والغم والمشقات الزمنية.
الحل: أطع الله، واعترف بخطيتك، وهو سيقدم لك بركات الحياة مكان اللعنة.
يكشف هذا القسم النظام الجديد للوجود للبشر، والذي سيبقى حتى آخر الزمان.

1. مواجهة مع الرب (3: 8-13)

2. إعلان اللعنة (3: 14-19)

أ. الحياة (الآيات 14-15)

العداوة بغض متبادل. هذه آية تدعى غالباً "البشارة الأولية" (Proto-Evangelium). ويشمل نسل المرأة لا قايين فحسب، بل المسيح في نهاية الأمر أيضاً. ومن هنا فإن هذه صورة مسبقة لانتصار المسيح على إبليس في نهاية المطاف، مع أن عقبه أو كعبه سيجرح (على الصليب) أثناء ذلك. غير أن هذا الصراع سيستمر عبر الكتاب المقدس.

ب. المرأة (الآية 16)

سيسود عليها زوجها لأنها حاولت أن تستغله أو تقوده، بدلاً من أن تبقى خاضعة له. [توجد ترجمة أخرى مقترحة

هي، "وإلى رجلك كان اشتياقك (إلى الآن)"]

ج. الرجل (الآيات 17-19)

يترك الرجل ليكسب قوته بالمشقة والألم، وسيكون الموت نهايته. وسيكون عمله مأزقاً محزناً لأنه لا بد أن يجاهد ضد العوائق والعقبات، ويتألم ويموت.

3. تدير للنظام الجديد (3: 20-24)

إن الفكرة الرئيسية هنا هي تدير ثياب جلدية التي تفترض عملية ذبح مسبقة لحيوانات. فالله يرفض محاولتهما في تغطية أنفسهما (3: 7) بملابس طبيعية من صنعهما؛ فلن ينفع إلا ما يدبره الله. لقد عرف الزوجان الآن الذبيحة الحيوانية، وتعلما طريقة الله في التعامل مع مشكلة الخطية. إذ لا بد أن تكون هناك حياة بريئة بديلة عن حياتهما الخاطئة.

4. امتداد المجتمع الفاجر

لم ينته العصيان بآدم وحواء. فالخطية سرطان ينتشر بسرعة إلى كل الأجيال المتعاقبة، وعقيدة الفساد عاملة نشطة (رومية 5)!

أ. قايين وهابيل (4: 1-15)

نرى في أول ابنين لأول زوجين أن الفساد ينتقل كالعدوى ويؤدي إلى انحطاط المجتمع. وبين هذا تقدم الخطية! غير أنه يتوجب علينا أن ننظر أيضاً إلى هذه الفقرة في سياق العبادة. نجد هنا شخصين جاءا ليمثلا أمام يهوه ليعبدها، لكن هناك شيئاً ناقصاً في عبادة قايين. ويمثل هذان الأخوان نموذجين أصليين لنوعين من الناس في سياق العبادة. وهذا درس هام للأمم إسرائيل الخارجة من مصر ولنا اليوم أيضاً.

ليس العيب في تقدم قايين واضحاً تماماً. والفكرة الأساسية هنا هي أن قايين يحضر... لتقديم واجب لا أكثر. وهو يجلب شيئاً من غلال أرضه. أما هابيل فيقال عنه إنه قدم من أبكار غنمه، أي أنه كان يحمل أكبر قدر من الإجلال للرب. كان همه أن يرضي الله بكل طاقته، وهذا هو النهج الصحيح للإيمان (انظر عبرانيين 11: 4). أما قايين فيظهر عدم إيمانه، ويعبر عن نفسه في استجابته لرفض الله له، أي بالغضب). فهو يحسد ذلك الذي باركه الله، وقاده حسده هذا إلى القتل. وعبر غياب إيمانه عن نفسه بطرق أربع على الأقل:

(1) الحسد بسبب تعامل الله مع أخيه البار.

(2) القتل.

3) إنكار لمسؤوليته.

4) رفض قبول العقاب.

هنالك دروس كثيرة يمكن تعلمها من هذه القصة، لكن الفكرة الرئيسية هي أن علينا أن نأتي بالإيمان إلى الله ونقدم له الذبائح، باذلين كل جهد لإرضائه. فهذا النوع من العبادة والطاعة ينال بركة الله، حتى لو قابله العالم بالاضطهاد. أما البار فلا يجب أن يفسح المجال للطبيعة الداخلية الفاسدة (التي تعمل فيها الخطية). بل يجب عليه أن يفعل ما هو صواب لئلا تنقض الخطية عليه تدمره (وهذه هي رغبة الخطية).

ب. انتشار المدينة (4: 16-26)

رأينا كيف انتقلت الخطية إلى قايين؛ أما في هذا القسم فنرى انتشارها في كل المجتمع. نجد هنا مجتمعاً يتمرّد على الله ويترك أرض البركة في تحدٍّ غاضب لقوانينه وذبائحه. ومن المثير للاهتمام أنهم ينجحون، لكن بمعنى دنيوي فقط. وهم لا يدركون جيداً أن الخطية تعاضم وتسبب الانحطاط، وهم الخاسرون. ونرى في لامك شخصاً يتباهى بخطيته! وفضلاً عن ذلك، فإنه يطالب بتساهل أكبر بالنسبة لأي انتقام منه مما لا يجزؤ أن يطلبه قايين نفسه.

لنلاحظ أن لامك هو الجيل السابع من نسل قايين، بينما أخنوخ هو الجيل السابع من نسل شيث. أولهما هو رمز الشر المتجسد في القتال، أما الثاني فقد "سار مع الله".

يحتّم الأصحاح الرابع ملاحظة قصيرة حول نسل شيث: "حينئذٍ ابتدئ أن يدعى باسم الرب." ليست الفكرة هنا أن كل واحد من نسل شيث كان تقياً، بل أن الإيمان كان موجوداً في العالم في ذلك الوقت. إن بديل اتباع الانحطاط والانحلال في المجتمع هو اللجوء إلى الرب... وطلب نعمته! هذا هو شعاع الرجاء في وسط حياة متدهورة.

5. مقدمة لتكوين 5: 1-11: 26

تُغطّي هذه الوحدة أربعة أجزاء من المواليد (توليدوت *tôlê dôt*)، تمتد من نسل آدم إلى ظهور أبرام. وهي مبدئياً تكملة صورة انحطاط الجنس البشري، معدة الطريق لضرورة وجود برنامج إلهي لاختيار إبراهيم كأداة له لخلق أمة تجلب البركة إلى العالم. فبدون التدخل الإلهي، لا يمكن للجنس البشري إلا أن يزداد انحطاطاً وابتعاداً عن البركة! ولا تستطيع حتى "بداية جديدة" أن تحل المعضلة. فإزالة الأشرار من الأرض ليست هي الحل. ومع بقاء الخطية في قلب الأبرار، ما تزال هناك إمكانية للتدهور والانحطاط. ونحن في هذه الأصحاحات نهياً للقاء إبراهيم، الذي أثمرت طاعته من خلال الإيمان والفرز لله.

أ. يأس من آدم إلى نوح (5: 1-6: 8)

ينقسم هذا الجزء إلى قسمين، يتبع أحدهما نسل شيث من آدم إلى نوح، ويتبع ثانيهما "حدثاً غريباً" يتضمن "أبناء الله". ويلفت كلاهما الانتباه إلى يأس الإنسان تحت الخطية واللعنة، مما يحتم عملاً ما من الله. وتمثل الذرورة في استياء الله الشديد من وجود الإنسان.

1. نسل شيث (5: 1-32)

تبدو هذه لأول وهلة سلسلة مواليد مملّة، لكنها تشكل في واقع الأمر كتاب تفسير لاهوتي، إذ تذكرنا مرة أخرى بمجالة الإنسان الأصلية عبارة "وباركه" في 5: 2. ويتبع هذه الملاحظة السعيدة ملاحظة أخرى حزينة يائسة نراها تتردد عبر الأصحاح كله، وهي "ومات". توضع هذه العبارة أمام عيوننا المرة تلو الأخرى، لكي ندرك أن الموت ساد أثناء كل تلك الفترة. وعلى الرغم من ظهور الحضارة والتقدم الطبيعي، إلا أن الإنسان لا يستطيع الإفلات من لعنة الموت بسبب خطية آدم. ولهذا فإنه يموت! ويرتبط هذا بالتصريح في 5: 3 أن ابن آدم كان "على شبهه كصورته"، ويحمل هذا فكرة انتقال نفس الطبيعة بإمكانات الآب وصفاته إلى الابن من خلال التناسل الطبيعي. وفضلاً عن ذلك، فإن قلب الإنسان منقل بأفة قاسية ومأزق عويص، وهو لهذا يصرخ طالباً "الراحة" (5: 29).

غير أن الأصحاح يقدم بصيصاً من الأمل للجنس البشري. فهناك شخص لا يموت؛ إنه أخنوخ، وسبب ذلك هو أنه سار مع الله. وهكذا، وعلى تقيض يأس اللعنة، لا يكون الموت هو المصير الحتم. ومع تقدّم الإعلان الإلهي ومجيء المسيح، تنضح هذه الفكرة! وأخنوخ درس للآخرين:

لا يحيا أخنوخ فحسب - فهو يسير مع الله

لا يموت (وانتهى الأمر) - بل يأخذه الله إليه

تعبر جملة "سار مع الله" عن النمو التدريجي في الشركة والطاعة، مما يؤدي إلى رضا الله.

2. ذرورة الإثم (6: 1-8)

ينكش كل الجنس البشري بسبب لسعة اللعنة والموت. ويئن نسل شيث بسبب محنتهم. والآن وفي 6: 1-8 تحاول عناصر معينة من المجتمع الإفلات من هذا المصير. ولا تشهد هذه المحاولة العبثية إلا عن إثم الإنسان الذي يعطي الله سبباً وجيهاً لجلب الدينونة. وهكذا يصبح الموت نتيجة محتمة، ويجب أن يحسب حساب رحمة في الدينونة.

يبدو أن هذه الفقرة تتناول محاولة الإنسان العبيثة للاتفاف على مصير الموت (والحصول على الخلود) وتحقيق نوع من الألوهة (كذبة إبليس المستمرة أن الإنسان يستطيع أن يكون كالله؛ انظر تكوين 3: 5). إن تفسير معنى "أبناء الله" هنا هو موضوع جدل كبير، لكن يبدو أنه يتضمن نوعاً من الممارسة الجنسية المنحرفة بين كائنات شيطانية ونساء (انظر 1 بطرس 3: 19، 20؛ يهوذا 6). يقول روس إن هؤلاء الملائكة الساقطين تركوا مسكنهم وسكنوا أجساد أشخاص طغاة ومحاربين، الذين كانت لهم بدورهم علاقات غير أخلاقية مع النساء.³ وتدعم هذه الفرضية ذريتهم غير العادية (6: 4). غير أن نتاج ذلك ليس الألوهة أو التحرر من الموت. فهؤلاء الأبناء ليسوا ملوكاً إلهيين، بل مجرد لحم ودم يموتون مثل غيرهم من أعضاء الجنس البشري. لقد تجاوز الإنسان بشكل عنيف حدوده، وتعليق الرب على ذلك ملخص تكوين 1: 11: "شر الإنسان قد كثر في الأرض، وأن كل تصوّر أفكار قلبه إنما هو شرير كل يوم" (6: 5).

غير أن الله يجد رجالاً يسبغ عليه نعمته. (كلمة נָעַם هي التعبير العبري عن "النعمة" - عطية الله غير المستحقة للإنسان الذي يستحق تقيضها تماماً). ونتيجة ذلك سار هو وعائلته مع الله، فاصلين أنفسهم عن عالم محكوم عليه بالهلاك. وإن متلقي النعمة هو الذي ينجو من الدينونة ويحقق الخلود. ومع دخول إسرائيل أرض الموعد، لا يلزمهم أن يخافوا من أشخاص يزعمون أنهم من أصل إلهي (انظر عدد 13: 31-33؛ تثنية 9: 2). ونحن نتعلم من تعامل الله مع جيل نوح أنه لكي يجلب الله ملكوت البركة الثيوقراطية (حيث يسود الحكم الإلهي)، لا بد أن تتم دينونة الآثمين بالهلاك!

ب. بداية جديدة مع نوح (6: 9-9: 29)

³ Allen Ross, Creation & Blessing, 181-83.

يجلب شر الإنسان المقيت دينونة كارثية من الله بالإضافة إلى بداية جديدة. وتستمر فكرة اللعنة (مع تدمير الجنس البشري)، لكن تأتي الآن فكرة البركة مع التدبير الفدائي لعائلة نوح والعهد الجديد معه. وهكذا تنتهي طريق التمرد الصريح على الله بالدينونة، غير أن الله قادر على أن يقدم تدبيراً (الفلك) للذين يتلقون نعمته. فلا مجال للشك أن الله هو ديان العالم.

1. دينونة العالم بالطوفان (6: 9-8: 19)

أ. مأمورية نوح ببناء الفلك والمحافظة على الحياة (6: 9-7: 5)

تشكل قصة الطوفان من نوح كثيرة مشهداً موازياً لتكوين 1-2:

- 1) كما ظهرت اليابسة من تراجع المياه في تكوين 1، فقد انخفضت المياه إلى أن استقر الفلك على أراراط.
- 2) يوصي الله نوحاً أيضاً بأن يثمر ويتكاثر.
- 3) توجد دعوة للسلطة على الحيوانات (مع اختلاط السلطة بالخوف).
- 4) يُقدّم الطعام مع تحريم سفك الدم البشري.
- 5) يزرع نوح جنة بالمقابلة مع جنة آدم وحواء.

لا يجب أن يغيب عن بال المرء التلاعب بالكلمات المتضمنة تغطية (כפר) الفلك بالقار (כפר). ففي طقوس إسرائيل ستصبح الكفارة (כפר) = كرسي الرحمة) جزءاً رئيسياً من نشاط العبادة.⁴ والاحتماء بالدم هو ملجأ المؤمن بالمسيح.

ب. دينونة الطوفان (7: 6-24)

تشهد روايات وثنية كثيرة على صحة وجود طوفان شامل (انظر الملاحظات حول الدرس الثاني).⁵ إن قصة الطوفان رواية رئيسية في الكتاب المقدس، ويشار إليها في مواضع كثيرة منه. وبطبيعة الحال تؤكد هذه الرواية مرة أخرى أن يهوه

⁴ يجب أن يكون هناك شيء من الحذر بشأن هذه التعابير المتشابهة، إذ يمكن أن تكون كلمة مختلفة تصادف أن كان لها ذات حروف الجذر. لأجل التفاصيل انظر The Hebrew & Aramaic Lexicon of the OT (vol I, pp 493-95).

⁵ على الرغم من أن المشككين والباحثين النقيدين يطعنون في شمولية الطوفان، إلا أن حدوثه استنتاج معقول. إذ يجب أن نضع نصب أعيننا أن هذا لم يكن مجرد طوفان كبير كان وراء تأليف "رواية أخلاقية"، بل كان الطوفان الكتابي دينونة كبيرة من الله على الإنسان الخاطيء. يقدم بنوير حججاً أخرى على حدوث طوفان شامل (شمل الأرض كلها):

هو الرب على خليفته، وأن الناس المخلوقين منه مسؤولون أمامه. وبقينية العقاب النهائي للأشرار درس هام من دروس هذه الرواية التي هي تحذير على مر الزمن للأشرار بأن الله لن يتغاضى عن خطيتهم (انظر 2 بطرس 3). وإن من شأن موت جيل واحد من الخطاة أن يذكر كل الأجيال القادمة بغضب الله الآتي.

أما بالنسبة للمؤمن بالمسيح (مُتَلَقِّي النعمة)، فإن الفلك يمثّل تدبير الله للنجاة من مياه الدينونة، ويمثّل الالتجاء إلى المسيح تدبير الله للمؤمنين لتجنب الدينونة (انظر يوحنا 5: 24). يبحر نوح عبر الدينونة إلى عصر جديد. وتبقى الحقيقة على مر العصور أن الدينونة ستسحق الأئمة، ولن يدخل عصر الراحة الجديد، أي الملكوت، إلا نخبة الأبرار. وسينتصر الله في نهاية المطاف على الشر.

ج. . نهاية الدينونة (8: 1-19)

تحمل عبارة "واستقر (واستراح) الفلك... على جبال أراراط" في 8: 4 معنى أكثر مما يمكن أن يلحظه المرء للوهلة الأولى. إذ نجد هنا استمراراً لفكرة "الراحة". إذ لم يستقر فعلياً على الجبل فحسب، لكن هذا الحدث أيضاً كان بداية جديدة بالبركة (9: 1).

"تشير حقيقة دوام الطوفان إلى ما يزيد على السنة (وهو شيء لا ينطبق على الفيضانات المحلية) إلى أن طوفان نوح شمل الأرض كلها. وفضلاً عن ذلك، فإن ذكر سفر التكوين أن كل الجبال العالية غطيت بالماء ما يزيد عشرين قدماً يثبت أن الفيضان غير مقصور على منطقة محلية (7: 19-20). حتى إن مسألة بناء فلك أصلاً وتجميع الحيوانات أمر بلا معنى إلا إذا كان الطوفان يشمل العالم كله" (Paul Benware, *Survey of the Old Testament*, 33).

2. البداية الجديدة (8: 20-9: 29)

أ. التديير في العالم الجديد (8: 20-9: 17)

(1) أول عمل لنوح (8: 20-22)

كان أول عمل يقوم به نوح بعد مغادرته الفلك هو تقديم ذبيحة من أفضل ما لديه للرب. وقد أكد هذا لإسرائيل أن الشعب المفدي هو شعب عابد.

(2) تعليمات جديدة لنوح (9: 1-7)

يُعطى نوح، كما كان الحال مع آدم، معلومات حول كيفية التصرف في هذا "العالم الجديد". ويقدم الله على وجه الخصوص تشريعاً متعلقاً بالقتل من أجل حماية قدسية الحياة. وبهذا تبدأ الحكومة البشرية نظاماً جديداً يكون فيه الإنسان مسؤولاً عن ضمان العدل في ما يتعلق بقيام شخص بقتل شخص آخر.

الدرس الذي تعلمه: كان القانون البشري ضرورياً لاستقرار الحياة في المجتمع الجديد، ولا يمكن للإثم أن يمر دون عقاب كما كان يحدث من قبل. وسيكون هذا المفهوم أساسياً في أهميته لأمة إسرائيل الجديدة تحت شريعة سيناء.

(3) عهد الله مع نوح (9: 8-17)

الالتزام الذي أخذه الله على عاتقه بأنه لن يفني العالم بالطوفان فيما بعد، يتم الاحتفال به بعهد قُصد به الاستقرار في الطبيعة. علامة هذا العهد هي قوس قزح، هي تذكير أبدي بأن الله سوف يحفظ وعد النعمة هذا دائماً مع الجنس البشري. نطاق حفظ العهد وحفظ الوعد هذا سوف يكون ذا دلالة خاصة لإسرائيل الخارجة من مصر. يحافظ الله دائماً على دوره في عهده!

ب. إعلان نوح النبوي (9: 18-29)

نجد نوحاً في هذا المشهد في حالة سكر وعري (بالمقابلة مع عري آدم)، وهذه مأساة في ضوء فرصة بدء خليقة جديدة. وتخص هذه القصة في واقع الأمر كنعان، فمنه انحدر الكنعانيون.⁶

⁶ Cf. Allen Ross, "The Curse of Canaan," *BibSac* 137-547 (Jul-Sep 1980)

لم تتضمن فعلة حام على الأرجح أكثر من خرق للاحترام والكرامة العائليين، لكنها دمّرت قداسة العائلة وجعلت من قوة الأب مجالاً للهزاء.

وبدلاً من أن تكون "لعنة كنعان" دينونة غير عادلة على كنعان، فإنها في واقع الأمر لعنة نبوية على الأمة التي ستحدر من حام من خلال كنعان. ومن الواضح أنه يفكر بالكنعانيين (الذين سيطردهم بنو إسرائيل لدى دخولهم "الأرض"). سيكونون شعباً منحلاً أخلاقياً ومستعبداً للسكر والخلاعة. المواضيع الأخلاقية التي واجهها أبناء نوح سيواجهها لاحقاً الذين كان عليهم مواجهة المجتمع الكنعاني اللاأخلاقي: فإن الأشخاص الأبرار سيتصرفون بتواضع ونزاهة في وجه الفساد غير الأخلاقي! وإن لم يفعلوا ذلك، فإنهم سيديون في مجتمع يفتقر إلى الاحترام الأخلاقي. وهكذا يُقصد بهذا الإعلان النبوي عن لعنة كنعان أن يُعد إسرائيل لكي ترث "الأرض"، واضعاً بذلك أساساً لسياسة إسرائيل الخارجية. ولا بد أن يُطرد الكنعانيون من مكانهم تمهيداً لتوسع إسرائيل والحصول على البركات.

ج. إعادة سكي الأرض لكن مع استمرار الانحلال (10:1-11:9)

يجيب قسم توليدوت *tôlê dôt* هذا عن السؤال المتعلق بما حدث لأبناء نوح. لقد أثمروا وتكاثروا، لكنهم لم يطيعوا الله. بل على النقيض من ذلك، تحركوا تجاه التدهور والانحطاط، مثلهم في ذلك مثل نسل آدم. غير أن تبتعنا لحياتهم يظهرهم مختلفين عن نسل آدم، حيث لا نجد في حياتهم شعاعاً من أمل.

لكي نفهم هذا القسم، علينا أن ندرك أن 11:1-9:1 تسبق 10:1-32:1 زمنياً. نجد أولاً صورة للأمم المشتتة بلا أمل على وجه الأرض في تمرد وفوضى، تحارب إحداها الأخرى والله أيضاً. وعندما نسأل كيف حدث هذا، يأتي الجواب من خلال قصة برج بابل في 11:1-9.

الصورة قائمة! وإلى أين يتجه الإنسان؟ فإذا ترك لنفسه، فهو لا يكف عن الانحطاط والتمرد على خالقه. وما هو طريق البركة إذاً؟ يعدنا هذا القسم إلى البرنامج الإلهي في تكوين 12 والعهد مع إبراهيم. سيختار الله رجلاً من هذه الكتلة المتفرقة من الشعوب ويبدأ ببناء أمته كقناة يبارك العالم من خلالها. وهذا القسم هو محور السفر كله، وهو يعدنا لفترة الآباء والأحداث المرتبطة بهم.

1. إعادة سكي الأرض وتشكل الشعوب (10:1-32)

يؤكد هذا القسم على تطور الشعوب ذات الأهمية الرئيسية لأمة إسرائيل ضمن التركيب الكلي لقائمتها أو جدولها.⁷ واهتمام الكاتب مرتبط جداً برسالة السفر، خاصة وهو منشغل بأمر الكنعانيين في أرض الموعد. يرتبط جدول الأمم

⁷ Allen Ross, "The Table of Nations in Genesis 10- its Structure," *BibSac* 137-548 (Oct-Dec 1986) and 138-549 (Jan-Feb 1981).

إذا بتحقيق وعد الله بمباركته إسرائيل كأمة في الأرض، ومباركته الأمم التي تباركها، ولعنه الأمم المعادية لها. ويُذكر سام أخيراً حيث إن معظم العهد القديم مرتبط بنسل سام - الذي يأتي من نسله إبراهيم الذي سيقطع الله عهده معه ليبارك الجنس البشري.

2. تشتت الأمم (11: 1-9)

تشرح هذه الفقرة كيف أن الشعوب تتكلم لغات مختلفة رغم أصلها المشترك، وكيف اتشّرت خارج المنطقة.⁸ ويتركز هذا الأمر على التمرد على تعليمات الله.

أ. الخطية

كان الهدف الإلهي في 9: 1 هو أن ينتشروا في الأرض ويحققوا قصد الله الأصلي. لكننا نجد هنا الجنس البشري يتجمع هنا لكي يتحد. لم تكن المشكلة هي بناء مدينة، بل السعي إلى الوحدة والأمان والخلود الاجتماعي ("نصنع لأنفسنا اسماً") تحدياً لرغبة الله لهم في أن يملأوا الأرض ثانية. وهكذا تظهر الخطية نفسها في كبرياء متعترسة تنعكس في تمردهم الصريح ضد الله واستقلالهم عنه. إذ يريدون أن يصنعوا "اسماً" (سمعة) خاصاً بهم.

ب. العقاب الإلهي

يتركز العقاب على اللغة التي كانت توحد الناس، لا على المدينة في حد ذاتها. والعدد الهائل من اللغات التي تشكل حواجز بين الشعوب شاهد على الخطية.

ج. منع الله لمحاولاتهم

يرى الله أن في محاولتهم صنع اسم (سمعة) لأنفسهم وتحقيق وحدة بينهم إمكانية عظيمة للشر. فوحدتهم غير مؤسسة على التقوى والإيمان، لكنها محاولة تتسم بالتحدي لتكوين سمعة لأنفسهم بعيداً عن الخالق. ويعرف الله أن ارتداد الروح الإنسانية لن يؤدي إلا إلى أعظم شر (لنتذكر 6: 1-8) وأسوأ حال ممكن للجنس البشري. وهكذا يقوم الله بإفشال قدرتهم على التخاطب والتفاهم (مجبوراً إياهم على الانفصال)، ويوضح أن إقامة الدول المتعددة هي إرادته ما دامت الخطية تسكن العالم.

د. تتبّع عهد نوح عبر سام إلى إبراهيم (11: 10-26)

⁸ Allen Ross, "The Description of Nations in Genesis 11: 1-9," *BibSac* 137-550 (Apr-Jun 1981).

هذا القسم هو قسم اتقالي، مثله في ذلك مثل 5: 1-6: 8. وهو قسم إعدادي لدعوة إبراهيم من حيث عودته بنسب إبراهيم إلى سام، الابن المبارك لنوح. ويتم تضيق الخيار من سام (الذي نال البركة) إلى أبرام، متلقي بركات الازدهار والنجاح والذرية. إذ لم يترك الله العالم لسكان منقسمين تحت اللعنة بلا رجاء. لنلاحظ أن هنالك عشرة أجيال من سام إلى أبرام. ولنلاحظ أيضاً غياب عبارة "ومات". فلم يعد التنبير على الموت، بل على الحياة والتوسع.